من "أوراق" الرئيس (34) :

الجليد .. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

عندما زار نيكسون مصر ..
كان بسيارته تليفون
يربطه بواشنطن !

لا نهاية لأبعاد ذلك الاجتماع الذى عقده الرئيس السادات للمجلس الأعلى للقوات المسلحة . فقد كان الرئيس السادات يتوقع أن يسمع مدى استعداد قواتنا للقتال فى الموعد الذى حدده .. ولكن كان هذا الاجتماع قنبلة مسيلة للدموع .

فقد فوجئ ، كما ذكر قبل ذلك ، بأن المجلس كله لا يعلم أى شئ عن الحرب ، ولا الاستعداد للحرب .. وأدعى وزير الحربية محمد صادق أنه لم يشأ أن يخبر قادة القوات بالحرب ، لأن الحرب يجب أن تحاط بالسرية التامة .. فلا يعرف أحد حتى قادتها – متى ستبدأ .. ولذلك لم يطلب إليهم إن يستعدوا !

يقول الرئيس السادات إن جريمة محمد صادق لا يمكن أن توصف أو تحد ، فقد كان فى استطاعته موشى ديان أن يعربد فى الضفة الغربية للفتاة ، تمام كما فعل فى جنوب لبنان ..

ألا ليت محمد صادق يتقدم إلى أية محكمة . يقول إنه مظلوم أو إنه مجنى عليه .. فيذكرنا تماما بالرجل الذى قتل أمه أباه وطلب من القاضى أن يترفق به لانه أصبح يتيما !

لو فعل محمد صادق ذلك لعرف الناس أى جريمة ارتكبها وأية كارثة كان من الممكن أن تقع لمصر ..

وعزله الرئيس السادات وأختار أحمد اسماعيل قائدا عاما ، وسعد الشاذلى رئيسا للأركان . ويذلك يلتقى رجلان بينهما خلافات عميقة بدأت أيام لومومبا فى الكونغو واستمرت بعد ذلك .

فى الساعة السابعة من مساء 22 أكتوبر أوقف إطلاق النار . ويعد ساعتين تحركت القوات اليهودية ووقفت وراء فرقتين من الجيش الثالث غربى القناة . ومع ذلك لم تستطيع القوات اليهودية أن تدخل السويس أو الاسماعيلية .

وهذه السطور القليلة يمكن رواية تفاصيلها فى كتب عن الأعمال البطولية العظيمة التى قامت بها قواتنا ، وقام بها المواطنون البسطاء من أبناء شعبنا . فقد كان أهل السويس قد هجروها ، وكذلك أهل الاسماعيلية .. ولكن بعض المواطنين ، عز عليهم أن يتركوا بيوتهم المهدمة .. وقاوموا وضربوا العدو . وحطموا له على مشارف السويس 12 دبابة ولما تسللت دبابتان وعربة لورى إلى داخل السويس حطمها المواطنون . ولا تزال إلى يومنا هذا فى مكانها الذى أحرقت فيه . . كما أنهم قضوا على ثلاثين جنديا .

وعندما زرت الاسماعيلية أخيرا طلبت تكريم قرية اسمها " أبو خطوة" والقرية تقع على مشارف الاسماعيلية وصلت اليها ثلاث دبابات إسرائيلية . ولم يستطيع اليهود أن يسحبوا هذه الدبابات فبقيت فى مكانها . ونحن نعرف أن اليهود يسحبون خسائرهم وقتلاهم . يسحبون خسائرهم ، حتى لا يعرف أحد .. كم هى عدد الإصابات التى تكابدوها . ويسحبون قتلاهم لأسباب دينية لأن دينهم يقول لهم إن اليهودي الذى لا يدفن فى أرض يهودية يظل يزحف تحت الأرض حتى يصل إلى الأرض اليهودية . وإن كل يهودي لا يدفن فى أرض يهودية يظل لعنة على أهله وشعبه إلى يوم القيامة . . ثم إن عندهم مشاكل تتعلق بالوراثة والطلاق . هذه المشاكل لا تحل إلا إذا عرف أن الجندى ق مات وإلا إذا دفن . ولذلك فقد كانت مشاكل اليهود كثيرة ومعقدة بسبب الجثث المفقودة والتى عثروا عليها فى سناء وفى قناة السويس .

ولذلك فإن خامات اليهود راحوا فى " وادى الموت " ينبشون الأرض مستعينين بالكلاب البوليسية للعثور على بقايا قتلاهم . على ساق أو ذراع أو أصبع أو حذاء أو خوذة أو خصلة من شعر لحية أى جندى .. ومع ذلك لم يفلحوا فى سحب كل الدبابات . فلما رأيت ثلاثا منها فى قرية " أبو خطوة " قررت أن ترفع هذه الدبابات على منصات ثم يقام نصب تذكارى تكتب عليه أسماء شهداء " أبو خطوة " ، وأسماء تشكيلات الصاعقة التى حققت هذا العمل البطولى ..

إن كثيرا من الدول الأوروبية فعلت ذلك بعد الحرب العالمية الثانية .. ففي كثير من العواصم نجد أثار دخول قوات وآثار اندحار قوات أخرى ، وعلى الشعوب أن تسجل ذلك اعتزازا بما قامت به فى أيام المحن . وأن مواطنا بسيطا يمسك قنبلة يدوية ويلقى بها على عدوه أو حتى يرميه بقطعة حجر ، لعمل من أعمال الشجاعة والبطولة .. صحيح أن هذا المواطن يقف وحده فى مواجهة أحدث الأسلحة . ولكنه بإيمانه بوطنه وتفانيه من أجله ، هو مواطن بطل .. لأنه يعرى صدره لعدوه ، ويعطى حياته لله ، وليس هذا بالقليل . بل إنه شئ كثر جدا فى ساعات المحن والأزمات . ومن هذه الساعات ومن هذه البطولات ، قد سجل شعبنا أعظم وأشرف معاركه !

ولم يكن فى استطاعته اليهود آن يتوسعوا فى الثغرة أكثر وأبعد مما فعلوا .. فلا اصطدموا بكثافة السكان فى مص . وفى ذلك قضاء عليهم . ولكن اليهود اعتمدوا على الحرب النفسية ، اعتمدوا أيضا على الذين ارتعدوا وراحوا يؤكدون الروح الانهزامية فى مصر ز. ودعاة الهزيمة هم دعاة اليهود أيضا .. هم صداهم وهم طلائعهم بين صفوفنا . ونحمد الله أنهم لم يكونوا كثرة تخيف .، وأنما هم قلة تستحق منا أن نقف لحظة لنؤكد لهم عظيم احتقارنا . فمصر بخير ، وسوف تنتصر بإذن الله . وإذا كان من أبنائها قلة ، وجفت قلوبهم ، فإن الأغلبية الساحقة من شعبنا لهم قلوب من حديد .. وغلا فما أنتصرنا على أنفسنا قبل أن ننتصر على عدونا . وهذا تاريخ يجب أن نسجله وأن نقوله وأن نعيده ، فذلك شرف لنا وواجب علينا .

وقد حدث قبل ذلك يوم 19 مساء أن عاد اللواء سعد الشاذلى رئيس الأركان خائفاً مذعورا . وقال لى إن اليهود فى الثغرة وأنهم وراء الجيش الثانى والثالث وأنه لابد أن نسحب قواتنا من سيناء !

وكان ذلك تصورا مروعا ، وقمة للانهزامية .. إذ كيف نسحب قواتنا لأى سبب . كيف نسحبها بعد هذا الذى تحقق وبهذه الصورة الرائعة ؟ كيف نعود إلى الوراء بعد الصدمة التى أذهلت اليهود ؟ كيف نعيد الفرح إلى عيون شعبنا ، ونطلب اليهم أن يبكوا علينا وعلى ما أصابهم على أيدى قواتهم وقادتهم ؟ كيف نعيد أكتوبر 73 إلى يونيو 67 ؟ لقد رأيت فيما يقوله سعد الشاذلى حالة من الجنون . ودعوت إلى اجتماع للقيادة عند منتصف الليل

وصارحته بأن الذى يقوله كلام جنون . ودعوت إلى اجتماع للقيادة عند منتصف الليل وصارحته بأن الذى يقوله كلام جنونى .

فى هذا اليوم عزلت سعد الشاذلى وعينت اللواء عبد الغنى الجمسى رئيسا للأركان . ولم أعلن هذا القرار إلا بعد شهرين . لأنه لم يكن من الضرررى إعلان ذلك خوفا على الروح المعنوية لقواتنا المسلحة .

فعزل القادة وضرهم بعضهم ببعض أسلوب إسرائيلى وليس أسلوبا مصريا !

فاللواء عبد الغنى الجمسى كان رئيسا للأركان منذ يوم 19 أكتوبر عند منتصف الليل..

***

وأنا أرى أنه من الضرورة أن أعود من حين إلى اخر إلى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم 28 أكتوبر 1972 وكان ذلك فى رمضان .. ففى هذا الاجتماع رأيت أشياء كثيرة كانت خافية على تماما .

ومن هذا الاجتماع تفجرت قرارات وحدثت تحولات بعضها أرويها مرة أخرى الآن.

وبعضها سوف أعود أليها فيما بعد عندما أتحدث عن أول محاولة للقيام بانقلاب فى عهدى .. وكان ذلك شيئا غريبا وغير مألوف . فقد كان من المألوف على أيام جملا عبد الناصر ، أن يقع انقلاب أو محاولة كل ستة شهور .

وقد دعوت المجلس الأعلى للانعقاد فى الدول الثانى من بيت المليونير محمد محمود خليل ، وبيته مجاور لبيتي الذى أقيم فيه منذ أيام جمال عبد الناصر ، وهو بيت ضيق وجوه ليس هادئاً ، فأصوات الشوارع والمناطق المجاور يمكن سماعها فى كل وقت وبوضوح . وهذا الذى يدفعني إلى أن أتركه وأقيم بعيدا عنه فى القناطر أو حتى الاسكندرية . وقد أشار البعض بأن أختار بيت محمد محمود خليل سكنا لى . ولكنني رفضت ، لأن الرجل أوصى بأن يكون متحفا . وعندما رأيت هذا البيت منهارا وفى أسوأ حال ، فأمرت بإصلاحه على النحو كان يتمناه صاحبه ..

وكان الهدف من هذا الاجتماع ، كما ذكرت كثيرا أعرف مدى استعدادنا .. أو أين نحن من المعركة .. المجلس هو أعلى هيئة عسكرية . وفى هذا المجلس يجب يتقرر ويتحدد كل شئ . وكل كلمة تقال هى مصير وكل قرار هو قدر . وكل شئ قيل فى هذا الاجراء .

مسجل بالكلمة الواحدة . ومعروف . وفى متناول أى أحد إذا أراد أن يعرف ماذا جرى فى ذلك اليوم الحاسم أو الحاسم الأليم .

ومن الضروري أيضا أن أعود خطوة إلى الوراء وأتصور ماذا حدث مرة أخرى يوم استدعيت إلى استراحة المعمورة أربعة من الشخصيات الهامة بهذا الترتيب : حافظ اسماعيل مستشار الأمن القومى ومحمد صادق وزير الحربية وسيد مرعى وممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية والمسئول عن المقاومة الشعبية . وأخطرتهم بأن قرار طرد الخبراء السوفيت الذى أصدرته لاقيمة له إذا وصلنا إلى شهر نوفمبر سنة 1972 ولم نكن جاهزين للمعركة . وعلى ذلك فالمطلوب من كل واحد منهم أن يكون مستعدا تماما .

وقلت لمحمد صادق ، كما ذكرت قبل ذلك ، أن يجمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة وان يخطرهم بقرارى بأن تكون القوات المسلحة جاهزة تماما يوم 15 نوفمبر لأداء ما طلبته اليهم من مهام .

وهذا ما نسميه فى العالم العسكرى " بالأمر الإنذارى " / أى إخطار القوات العسكرية بأن تكون جاهزة فى 15 نوفمبر . لتتلقى أى أمر . ولكن ليس معنى ذلك أن تبدأ القوات القتال.

ثم هناك الأمر الإستراتيجي " من رئيس الجمهورية إلى القائد العام " وفى هذا الأمر نعرض كل الاستراتيجية العامة .

وبعد ذلك " أمر القتال " فى هذا الأمر تتحدد الساعة والدقيقة للمعركة .

وهذا هو المتبع عادة فى الحروب . ومن يقرأ التاريخ يجد أن الذين كتبوا عن معركة الحلفاء فى نورماندیا قد تناقشوا طويلا فى هذه الأوامر وترتيبها .

وكان لتشريشل رأى ، ودارت حوله اجتهادات كثيرة . وفى مذكرات ايزنهاور رد على ماكتبه تشرشل واثاره فى مجلس العموم البريطانى . ولكن لا خلاف بين " الكتب " العسكرية أو القانون العسكرى " فى ترتيب وأهمية هذه الأوامر " ففى معركة نورمانجيا

ضد هتلر ، صدر " الأمر الاستراتيجى " للقائد العام للقوات المتحالفة وكان ايزنهاور فى ذلك الوقت . ثم بعد ذلك صدر " أمر القتال " الذى وقعه تشرشل وروزفلت .

وهذا عرف عسكرى معروف . وهذا بالضبط ما سرت أن عليه ، وحريص على تطبيقه . والذين يدرسون حرب 67 وحرب 73 ومن قبلها حرب 48 سوف يجدون ألوانا وأشكالا من التخبط فى إصدار الأوامر وتضاربها وتطبيقها .. ولم يكن هذا الذى شاهدناه قبل حرب أكتوبر تضاربا بل ضربا موجعا للقادة . وكان على مصر أن تدفع الثمن وهذه قصة أخرى سوف أعود اليها فيما بعد إن شاء الله .

واذكر أننى عندما أعطيت أحمد اسماعيل أمر القتال ووقعته يوم 2 أكتوبر سنة 1973 تحركت أمام عينى وفى نفسى صورة رائعة ومروعة أيضا .

والله يعلم أننى كنت أكتب حرف وأعلم أننى أخط قدرى وقدر مص . وكان ذلك شيئا هائلا رهيبا , ولا أقول إننى استرحت عندما أصدرت هذا الأمر . وإنما أحسست أن جبلا ثقيلا كان أمامى ، وأننى حملته على كتفى وطلبت من الله أن يساعدنى على أن أنهض وأقفا وأن أقتحم به استحكامات العدو ، وأعبر الحاجز المائى ، وأعبر صحراء العار والهوان.

وأن هذا هو المعنى الذى قلته يوم 16 أكتوبر 1973 فى افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب .

قلت ، والله على ما أقول شهيد /

" عاهدت الله ، وعاهدتكم على ألا أتأخر عن لحظة أجدها ملائمة ، ولا أتقدم عنها ، لا أغامر ، ولا أتكلأ ، وكانت الحسابات مضيئى والمسئولية فادحة ، لكنى أدركت كما قلت لكم وللأمة مرارا وتكرارا إن ذلك قدرى وأنا حملته على كتفى ، عاهدت الله وعاهدتكم وحاولت مخلصا أن أفي بالوعد ملتمسا عون الله ، وطالبا ثقتكم وثقة الأمة دائما لأحمد الله على كل شئ .. "

يومها ، بل لحظتها نظرت إلى أحمد اسماعيل وأنا أقول له : يا اسماعيل .

قال : نعم

قلت : نحن الآن يوم الثلاثاء 2 أكتوبر وسوف نحارب بمشيئة الله يوم السبت 6 أكتوبر ياترى يا أحمد أين سنكون يوم الثلاثاء القادم 9 أكتوبر .. ؟

ولم يرد أحمد اسماعيل

فقلت له : اسمع يا أحمد .

قال لى : نعم

قلت له : أشرف لنا ألف مرة أن نموت مع جنودنا وأن ندفن فى أرض سيناء ، على أن نعيش فى هذه المهانة التى اسمها : اللا سلم واللا حرب . أشرف لنا أن نغرق فى قناة السويس وهى ماؤنا وأرضنا من أن نعود للحياة على ضفاف النيل مع الذل والعار والتمزق والنظر إلى الماضي على أن مقبة لنا .. ففي الماضي دفنا كل آمالنا وكل أحلامنا وكل تاريخنا .. وبذلك نكون حقا شعبا له ماض وليس له مستقبل .. وأن تصدق علينا العبارة اليهودية الآثمة التى تقول : إنهم ولدوا لينتصروا وإننا ولدنا لنهزم .. وإننا شعب يعيش ويموت بالكلام .. وإن معاركنا خطب ، وإن حروبنا هلوسة . وإن جنودنا منعزمون لأنهم انهزموا ؟؟ وإنهم عاجزون عن أن يخوضوا حربا أخرى .. يا أحمد ليس عندى ما اقوله لك ولنفسى فلنتوكل كل على الله ، وليبارك خطانا ولينصرنا على أعدائنا إن سميع مجيب . لقد صدقنا النية وأخلصنا العلم والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون نفسه . وقد عاونا أنفسنا ، فليعاونا الله .. مع السلامة .

وخرج أحمد اسماعيل يحمل أخطر قرار ، قرار بالقتال .

****

وكان اجتماع المجلس الاعلى للقوات المسلحة ، وكان محمد صادق وزير الحربية قد استدعى فى الصباح اثنين من أبواقة ، اعضاء المجلس الأعلى . وأنهى إليهم ما فى نفسه من أفكار انهزامية . لأن محمد صادق له ارتباطات أخرى . فهو على ارتباط بمحمد حسنين هيكل مركز القوة رقم واحد على أيام جمال عبد الناصر . ومحمد حسنين هيكل له ارتباط آخر مع معمر القذافى الذى يعمل مستشارا له . وهم ثلاثتهم من فكر واحد ورأى واحد : هو أنه لا حرب وإذا كانت حرب ، فهزيمة الجيش المصرى مؤكدة .

ولذلك قام محمد صادق قبل ذلك بإلقاء خطاب فى القوات المسلحة يؤكد فيها كالخبراء السوفيت تماما ، أنه لا حرب ، ولا فائدة منها ، ولا قدرة لمصر عليها . وأنه أفضل لمصر ولقواتها المسلحة أن تظل هكذا فى محلها تسير ، أو فى نومها تسير . أى أن تكون فى حالة اللا يقظة واللا نوم .. " وأن تنظر إلى القوات اليهودية على أرضها فى سيناء . وتبتل رمال الأرض وتحترق من داخلها وتموت كمدا على ما أصابها .. وسوف تعتاد على ذلك وينتهى كل شئ " - العبارة الأخيرة هى التى قالها موشى ديان .

فهو الذى أعلن أن المصريين لن يحاربوا لأسباب عديدة من بينها :

أولا :

أنهم انهزموا أكثر من مرة . فقد أعتادوا على أن ينهزموا كما أعتدنا نحن على أن ننتصر .

وثانيا :

لأن المصريين سوف يعتادون على وجودنا فى الضفة الشرقية للقناة . وهذا من شأنه أن يخلق لديهم نوعا من الاستسلام الطويل للأمر الواقع .

وهذا ما كان يريده أبواق الانهزامية ودعاتها الخونة فى مصر ، أو الخونة لمصر ..

وإذا كان وزير الحربية هو الذى يحطم معنويات الجيش المصرى ، فمن الذى يرفعها ؟ وما هو الفرق بينه وبين وزير الدفاع الاسرائيلى .. إن وزير دفاع العدو يبنى قوته على ضعفنا .. ولكنه لا يبث روح الهزيمة بين قواته ، إنه يبثها بين قواتنا إن استطاع .. ولم يكن فى حاجة إلى أن يفعل ذلك . فقد تولاها بالنيابة عنه ، مع الأسف والاحتقار الشديد ، محمد صادق ومحمد حسنين هيكل والقذافى ؟!

فى هذا الاجتماع شرحت الموقف السياسى بجميع أبعاده وهذا مسجل . وشرحت موقفى من الاتحاد السوفيتى والأسباب التى دعت إلى إخراج الخبراء السوفيت . وأنه إذا كانت هناك فجوة فى التكنولوجيا بيننا وبين اسرائيل ، فليس معنى ذلك أن نستكين . ولكن معناه أن نملأ ذلك بتدريبنا وإيماننا بقضيتنا .

وأننا يجب أن نتفوق رغم كل الظروف بالأداء القتالى وأن هذا قدر . وأن الموت خير من الهزيمة أو الاستسلام لها . وأن الحرب لا ريب فيها . وأن القتال مكتوب علينا .

وعندما سألت عن مدى استعداد الجميع للقتال ، رأست وجوما ، وكان هذا الوجوم الصامت ، صارخا فى أذنى . فلم أتصور أى شئ أخر غير ان الاستعداد للحرب مستمر وأن كل شئ جاهز . ولذلك جاء هذا الوجوم شيئا مفزعا إن هذا هو الصمت الرهيب حقا . وجوم ؟ ما معنى ذلك ؟

وسألت القادة . وسمعت العجب .

وأعجب ما سمعته ما قاله وأحد اسمه اللواء نوال سعيد قائد الشئون الإدارية للمعركة . أى الرجل الذى يتكفل بنقل الطعام والذخيرة للجيش كله . أى الرجل الذى فى يده حياة كل الناس . فوجئت به يرفع يده ويطلب الكلمة . قلت له : ماذا تريد أن تقول يانوال ؟

قال: يا افندم أريد أن أسأل : سيادتك قلت أن هناك تعليمات أصدرتها لوزير الحربية لتبليغها للمجلس الأعلى للقوات المسلحة . ما هذه التعليمات . فأنا لا أعلم عنها أى شئ !

لا يمكن للعقل أن يتصور ما الذى أصابنى فى تلك اللحظة . لأن الذى أمامى الان شئ يعجز العقل عن تصوره أو تصويره : فالرجل الذى بيده إطعام الجيش وإدارة محركات طائرتها ودباباته لا يعرف أن هناك معركة وأن هناك أمرا بالاستعداد .

وتلفت إلى محمد صادق : يقترب منى ويهمس فى أذنى قائلا : والله يا أفندم أنا لم أشأ أن أفشى لهم أسرار الحرب . لأن هذه المسألة يجب أن تكون طى الكتمان.

طى الكتمان ؟ سرية ؟ لا يعملها قادة الجيوش .. لا يعلمها الذين سيديرون الحرب .. والذين يتولون إطعام الجيش وأسلحته .. وإذا كان القادة لا يعملون ، فمن الذى يجب أن يعلم .. شئ عجيب جدا .

هنا فقط أدركت أن الأمر أخطر بكثير جدا من هذه البلاهة أو التظاهر بالسذاجة .

ولم يعد شيئا مهما أن استمع لأحد بعد ذلك . ولكن كعادتى ، ابتلعت غضبى وكظمت غيظى , وراح عقلى يعمل بسرعة . ولما طلب الكلمة واحد اسمه على عبد الخبير ، وهو ضابط بالمعاش استدعوه وأعطوه مائة جنيه وسيارة وكان قبل ذلك مديرا لمكتب المشير

عبد الحكم عامر أيام النكسة وأعطاه محمد صادق وزير الحربية "قسم القاهرة". أى جميع القوات المسلحة التى فى قلب وحول القاهرة. منتهى الخطورة ! ففى استطاعته أن يقوم بأى شئ فى أى وقت إذا طلبوا منه ذلك .. وهو ضابط من منازلهم فقال : إنه ليس لدينا سلاح وغير مستعدين للحرب.

وقال على عبد الخبير هذا أيضاً إن البلد إذا أرادت أن تدخل الحرب فعلى الشعب أن يحرم نفسه من أشياء كثيرة.

أى أن هذا الحرمان سوف يضاعف متاعب الشعب ومعنى ذلك أن الجيش غير قادر عسكريا والشعب غير قادر معنويا. والخلاصة : أنه لا ضرورة ولا مبرر لهذا الحرب.

* وقلت له بالحرف الواحد وهذا مسجل أيضاً : والله إذا نحن ابتدأنا الحرب فإن الشعب المصرى سوف يعطينا اللقمة التى فى فمه .. سوف يعطينا الجلباب الذى يرتديه إذا طلبناه منهم. والمهم أن نحرك الموقف. وأن نؤكد للعالم أننا قادرون. والعالم لا يحترم إلا القادرين الأقوياء. وأنا لن أفرض على الشعب المصرى ما يعانيه من عناء وعذاب .. ولكن إذا نحن حاربنا ، فإن الشعب سوف يضحى من أجلنا ومن أجل انتصارنا بأكثر مما نريد ومما نتصور ..

وكان على عبد الخبير وعبد القادر حسن مساعد وزير الحربية هما الشخصيتان اللتان دفعهما محمد صادق لإشاعة هذه الإنهزامية فى المجلس. وطلب عبد القادر حسن الكلمة وقال متسائلا : إن كنا سنطلب معونة السوفيت فى أية مرحلة من مراحل القتال ؟

** وأدهشنى ذلك. وغضبت وثرت قائلا : ما الذى تقول ؟ إننى طردت الخبراء السوفيت. ولن يعودوا لأى سبب. فكيف أطالب بعودتهم ، أو كيف تتصور أنت ذلك .. ثم إنك قد خرجت عن حدودك . لأن طرد السوفيت أو دعوتهم هذا قرار سياسى. وليس قرارا عسكريا. وأنت هنا تحاول أن تشيع جوا من التعجيز. وأنا لا أسمح بمثل هذا الكلام. وأرفض مثل هذا الجو الكريه ..

ثم قلت له : هذه هى المرة الثانية التى أخطأت فيها أمامى .. وكانت المرة الأولى ونحن فى الطائرة قادمون من ليبيا !

فقد حدث وأنا عائد من ليبيا فى صيف 1972 وبعد طرد الخبراء السوفيت أن استدعيت عبد القادر حسن وكان معى فى الطائرة وقلت له : الآن لم يعد لديكم أى عذر. طردت الخبراء السوفيت. وعليكم الآن أن تتولوا المسئولية وأن ترفعوا إلى مستواها.

وفوجئت به يقول : والله يا افندم الناس يتكلمون على ضرورة وجود السوفيت فى أسوان ..

فقلت له : أسوان ؟ ماذا تقول ؟ إن هذا قرار سياسى. وقد صدر وانتهى. وشمل كل مصر من أولها لآخرها بما فيما أسوان.

وفى هذا الاجتماع قلت لعبد القادر حسن : هل تذكر ما قلته لك فى الطائرة ونحن قادمون من ليبيا.

قال : نعم .

قلت : لا أسمح لك بأن تتكلم فى موضوعات سياسية. فقرار طرد الخبراء السوفيت قرار سياسى. ونحن هنا نبحث القرارات العسكرية. هل أنت جاهز للمعركة. أو غير جاهز. وليس من المعقول أن أكون قد طردت السوفيت ، ثم أستدعيهم مرة أخرى لأى سبب ..

لقد اتضحت الصورة أمامى. وكانت صورة بشعة. ولكن أحمد الله أنى عرفت أبعادها. وعرفت بسرعة ما الذى يمكن عمله ورفعت الجلسة.

ونزلت إلى مكتبى فى الدور الأول من بيت محمد محمود خليل. وجاءنى محمد صادق وزير الحربية يقول لى : سيادتك انفعلت وتضايقت جدا. أنا آسف لما حدث.

قلت له : ألم تسمع ما جرى. ألم تسمع ما قبل. هذا شئ خطير جدا.

قال : يا أفندم ، نحن سوف ننفذ كل ما تريد .. وأنا أعلم تماما أنه اجتمع بهذين الاثنين وملأهما بما قالا وقال لهما بالحرف الواحد : إذا دخلت مصر حربا فسوف تذهب فى ستين داهية !

وبعد ذلك بيومين قررت عزل محمد صادق. لأنه جندى خائف من القتال ولأنه كذب وهو زير وهى كذبة قاتلة. لو كانت قاتلة لو هو لهانت. ولكنها قاتلة لمصر كلها ! – ولكن الله سلم !

وأرسلت سكرتيرى إلى محمد صادق ليقول له : بدلا من أن تخرج بإقالة مثل شعراوى جمعة ، سوف أعلن اليوم أنك استقلت.

وكان ذلك فى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر .. وإذا عزلت قائد القوات المسلحة ، فيجب ألا يكون هناك فراغ. لأنه من الممكن أن يحدث أى شئ ، فى الذى يعطى الأوامر لقواتنا. ولذلك فى اللحظة التى أعزله ، يجب أن أعين قائدا فى مكانه فورا .

ولذلك فقد استدعيت اللواء سعد الشاذلى رئيس الأركان وقلت له : يا سعد

قال : نعم.

قلت له : أنا أصدرت قرارا. وسوف أبعث بهذا إلى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة محمد صادق بأنه معزول. وعلى ذلك فمن هذه اللحظة وحتى يتم تعيين وزير آخر للحربية ، فأنت تتولى القيادة العامة للقوات المسلحة. حتى لا يكون هناك فراغ. وسوف يأتيك الوزير والقائد العام الجديد وربما كان ذلك فى الساعة الثامنة مساء. وعلى ذلك فمنذ هذه اللحظة ، أى الساعة الثالثة والنصف فأنت القائد العام بالنيابة . ومسئول أمامى . وإذا احتجت لأى قرار فأتصل بى فورا.

وكان لابد من ملء هذا الفراغ بمنتهى السرعة. فالعدو على أرضنا وأمامنا. ومن الممكن أن يقوم بأى شئ.

** واليوم أؤكد أن محمد صادق قد ارتكب "جريمة" لا يمكن اغتفارها. وأتمنى لو ذهب محمد صادق إلى المحكمة. هنا فقط يعرف الناس أبعاد "الجرم" الحقيقى الذى ارتكبه هذا الرجل ، والكارثة التى كان من الممكن أن تقع فى مصر. فقد كان فى استطاعة موشى ديان أن يتقدم إلى الضفة الغربية وأن يفعل بها ما فعله فى جنوب لبنان .. فى الوقت الذى نتحدث عن قوة مصر ووزنها العربى وثقلها العالمى .. كل هذا ظللنا نبنيه من عذابنا وعرقنا ودمنا وحرماننا وهواننا وتضحياتنا. كل ذلك كان من الممكن أن يتبدد فى لحظات بسبب ما ارتكبه هذا الرجل فى حق مصر وشعب مصر ..

* قلت لسعد الشاذلى : أذهب الآن وانتظر الوزير الجديد ..

قال : حاضر يا أفندم ..

* وقبل أن يتجه خارجا استوقفته وقلت له : يا سعد .

– نعم يا أفندم .

* أنت بينك وبين أحمد إسماعيل مشكلة .. وأنا أعرفها من وقت طويل.

– تمام يا أفندم.

* قلت له : الذى سيجئ إليك فى الساعة الثامنة وزيرا للحربية هو أحمد إسماعيل ..

قال : حاضر يا أفندم .

* قلت : تعليماتى لك أن تعمل رئيسا للأركان تحت قيادة القائد العام أحمد إسماعيل.

- حاضر يا أفندم ..

* هل تريد أن تسأل عن شئ يا سعد ؟

- لا يا أفندم .

* مع السلامة يا سعد ..

وخرج سعد الشاذلى وقد اطمأنت نفسى إلى أنه لا يوجد فراغ ولو لمدة ثانية واحدة .. أما الخلاف بين سعد الشاذلى وأحمد إسماعيل فيرجع إلى أيام الكونغو . يوم أرسلت قوات طوارئ على أيام لومومبا. وكان هناك سعد الشاذلى وأحمد إسماعيل. ودارت بينهما خلافات ومشادات. وطبيعى أن يحدث بين الضباط مثل ذلك. وتركت هذه الخلافات آثارا عميقة عند الاثنين ولم يتح لهما وقت كاف لتصفيتهما. أو أنها رأيا أنها من الشدة والحدة بحيث لا يمكن إزالتها.

وهذا من الممكن أن يحدث اليوم وغدا ، لأى اثنين من الضباط أو من الناس .

** وأذكر أن الرئيس الأمريكى نيكسون عندما كان فى زيارتنا فى مصر ، كان على صلة بالولايات المتحدة . فقد كان فى سيارته تليفون يربطه بالبيت الأبيض .. أى فى استطاعته أن يتصل وأن يصدر أى قرار بالحرب. فالحرب الذرية لا تحتاج إلا لثوان .. والذى يسبق هو الذى يستطيع أن ينتصر ، أو يحدث بالطرف الآخر أفدح الخسائر .. وكذلك كانت الطائرة الهليكوبتر التى ينتقل بها من استراحة المعمورة إلى قصر رأس التين كان بها اتصال مباشرة بواشنطن . لأنه يجب ألا يكون هناك لحظة فراغ .. أى لحظة واحدة لا يمكن فيها الاتصال برئيس الدولة ..

واستدعيت أحمد إسماعيل وهو الرجل المؤهل الوحيد لقيادة القوات المسلحة فى غياب عبد المنعم رياض.

وعبد المنعم رياض من دفعتى أنا. بينما أحمد إسماعيل من الدفعة التى بعدى وهى دفعة جمال عبد الناصر. وأحمد إسماعيل هذا رجل أمين ونزيه وصادق وعسكرى 100% وكان الأول على كلية ناصر العسكرية ..